Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الخيال الذي لا يلتزم بمطابقه الحقيقة ، فكيف يسوغ استعمال «كاد» التي تعيد الكلام الى صبغته الاولى ، وتضعف من ايحائه الخيالي ؟ وهل يكمن فضل الكلام دائماً في ان يغدو اقرب الى «الصحة» ؟ وما هي هذه الصحة التي يحبذها ابن سنان ؟ الحق انه لو طلب الصحة بمعنى الصدق في الشاعر لكان اولى من ان يطلب الصحة بمعنى التنبيه على ان في الكلام استعارة ، وكأنه يريد ان يسلب الذهن انطلاقه الخيالي بتذكيره بالحقيقة ، وتكبيله بلفظة «كاد» ولعلنا نذكر كيف ذهب عبد القاهر الى ان غرابة الاستعارة انما هي في خفائها ، بحيث لو عرفنا وجه الشبه على سبيل الافصاح لخرجنا الى شيء تعافه النفس[1] ، وطبعاً لا يلام البحتري على ايراد لفظة «كاد» لانها جاءت في موقع يتطلبه الفن بما توحيه من مشارفة الكلام دون كلام ، ولكن اشتراط ذلك او تفضيله مما يقيد حرية الشاعر ، ولو ان البحتري اورد هذه اللفظة مرة اخرى فقال عن الربيع : انه كاد ان يختال ، وكاد ان يتكلم ، لاتى بما لا تخفى غثاثته ، والمعضلة كلها هي في اضطراب النقاد بين مفاهيم المنطق العقلي ، والمنطق الفني وعدم وضع الصدق معياراً وحيداً ، بحيث ان الشاعر اذا غلا او بالغ وهو صادق لجاز له ذلك ما دام يعبر عن عاطفة صادقة ، والمهم ان يكون نمط التعبير نابعاً من خيال الشاعر او تجربته لا من حكم الناقد او منطقه .

ولا يدعنا «ابن رشيق» ننتظر طويلاً ، فيهرع الى القول في مطلع كتابه : ان الكذب من فضائل الشعر : (ومن فضائله ان الكذب ـ الذي اجتمع الناس على قبحه ـ حسن فيه ، وحسبك ما حسن الكذب ، واغتفر له قبحه)[2] ، ويروع المرء ان يعرف ان ابن رشيق لا ينظر الى الكذب من الناحية الفنية ،

---

(١) انظر : دلائل الاعجاز ، ص ٣٤٦

(٢) العمدة . ١/ ٢٢ .